محمود محمد طه

الرسالة الثانية من الإسلام

الطبعة الثالثة

رجب ١٣٨٩
اكتوبر ١٩٦٩

الفهـــرســـت

الصفحـة

مقـدمـة الطبعـة الثـالثـة ٨

السنـة والشريعـة ٩

الأســـلام والايمـان ١٠

جليـة الأمـر ١٢

الأهـداء ١٥

توطئـة البحث ١٧

الباب الاول

المـدنية والحضـارة ٢٠

هل المـدنية هى الأخلاق ٢٠

المـدنية الغربيـة ٢٢

فشل المـدنية الغربيـة ٢٣

الباب الثانى

الفـــرد والجمـاعـة فى التفكير الفلسفى ٢٨

الفـــرد والكـون فى التفكـير الفلسفى ٣٢

الباب الثالث

الفـرد والجمـاعة فى الأسلام ٣٨

الصفحة

الحرية الفردية المطلقة ٤١

الشريعة فى خدمه الحرية الفردية المطلقة ٤٦

الفرد والكون فى الأسلام ٦٠

الأراده ٦٤

الجبر والأختيار ٧١

القران والجبر والأختيار ٧٤

القران والتسيير ٧٨

التسيير ما هو ؟ ٨٠

المغفرة لآدم ٩٢

كيف غفر لآدم ؟ ٩٧

التسيير خير مطلق ١٠٠

القضاء والقدر ١٠٤

الخلاصة ١١١

الباب الرابع

الأسلام ١١٣

الثالوث الأسلامى ١٢٠

الباب الخامس

الرسالة الأولى ١٢٩

امة المؤمنين ١٣٩

الصفحة

الجهـاد ليس أصلا فى الأسلام ١٤٢
الرق ليس أصـلا فى الأسـلام ١٤٩
الراسمـاليه ليست أصـلا فى الأسـلام ١٥١
عدم المساواة بين الرجال والنساء ليس اصلا فى الأسلام ١٥٢
تعـدد الزوجات ليس اصلا فى الأسـلام ١٥٣
الطلاق ليس اصلا فى الأسلام ١٥٦
الحجاب ليس اصلا فى الأسلام ١٥٨
المجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلا فى الأسلام ١٦١

الباب السادس

الـرسـالـة الثـانية ١٦٢
المسـلمـون ١٦٨
المجتمـع الصـالـح ١٧٢
المسـاواة الأقتصـاديـة :الأشتراكيـة ١٧٤
المسـاواة السيـاسيـة :الديمقراطيه ١٨٠
المسـاواة الأجتمـاعيـة ١٨٩
خـاتمـة ١٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

هذه مقدمة الطبعة الثالثةمن كتاب « الرسالة الثانيـة من الاسلام » وكانت الطبعة الأولىمنه قد صدرت فى يناير من عام ١٩٦٧ ، المـوافـق لشهـر رمضـان المـكـرممـن عـام ١٣٨٦ .. ثم صدرت الطبعـةالثانية منه فى ابريلمنعام١٩٦٨، يوافق المحرم من عام ١٣٨٨ ...وعند صدور هذه الطبعة صرفتنا صوارف العمل عن تصديرهـابمقدمة خاصة بها ..

هذا الكتاب ـ الرسـالةالثانيةمن الاسلام ـ كتاب جديدمن جميع الوجوه..وهو،الىجدته،غريب كل الغرابة ،ولا غرو، ذلك بأنه بشارة بعودة الاسـلام من جديد،وأى الناس،منعلماءالناس، لاينتظـر الغـرابة فى عـودةالاسلام منجديد ؟ ألم يقـل المعصوم : « بدأ الاسلام غريبا ،وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء ! قالـوا من الغرباء يـارسول الله ؟ قال الذين يحيون سنتى بعد اندثارها » ؟ ..

فالغرابـة فى أصـل عودةالاسلام ، ولكن هذا كثيرا مـا يغيب عن الذين يتصدون للكتابةعن الاسلام ، ولقد تعرض لهذا الكتـاب بعضهم فتورطـوا فىمعارضة ما لم يحسنوا فهمه ، ولم يطيقـوا الصبر عليه ، فجـاءتمعارضتهم مثلا من سوء الفهم ، وسوء التخريج ، وسوء القصدأيضا ، ولسنا بحاجة لأن نرد على

هؤلاء ، فان سوء صنيعهم يكفينا اياهم ، ولكننا نحب أن ننبه من عسى يحتاج الى تنبيهنا من القراء الى أن هذا الكتاب حق ، وان الاطلاع عليه يقتضى الصبر ، والاناة ، ودقة النظر ، فاذا ظفر القارىء بأولئك فانه سيتفتح ذهنه على فهم جديد ، للقرآن وللأسلام ، وسيحمد عاقبة صبره ، وطول اناته ، ان شاء الله ..

السنة والشريعة

ولقد ذكر النبى فى حديثه الغرباء ، وقال انهم هم الذين يحيون سنته بعد اندثارها .. وهم ، بالدعوة الى هذا الاحياء ، يصبحون غرباء بين أهليهم ، وذلك لما يصحب هذه الدعوة من خروج عن مألوف ما عليه الناس .. هم غرباء الحق بين قوم يغدو الحق بينهم غريبا لطول ما ألفوا الباطل فظنوه حقا ، ولطول ما غفلوا عن الحق ..

ان مما الف الناس ان سنة النبى هى قوله ، واقراره ، وعمله .. والحق ان هذا خطأ ، فان قول النبى ، واقراره ، ليسا سنة ، وانما هما شريعة .. واما عمله فى خاصة نفسه فهو سنة .. نعم هناك من قوله قول يلحق بالسنة ، وذلك هو القول الذى ينم عن حال قلبه من المعرفة بالله .. أما أقواله التى أراد بها الى تعليم الأمة فى أمر دينها فهى شريعة ، والفرق بين الشريعة ، والسنة ، هو الفرق بين الرسالة ، والنبوة ، أو هو الفرق بين مستوى الأمة ، من أعلاها الى أدناها ، ومستوى النبى .. وذلك فرق شاسع وبعيد ..

السنة هى عمل النبى فى خاصة نفسه ، والشريعة هى تنزل النبى ، من مستوى عمله فى خاصة نفسه الى مستوى أمته ، ليعلمهم فيما يطيقون ، وليكلفهم فيما يستطيعون .. فالسنة هى نبوته ، والشريعة هى رسالته .. وانما فى مضمار رسالته هذه قال: « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم »

الاسلام والايمان

والناس ، اليوم ، لا يملكون القدرة على التمييز الدقيق بين الاسلام والايمان ، فهم يعتقدون ان الايمان أكبر من الاسلام ، وقد ورطهم فى هذا الخطأ عجزهم عن الشعور بحالة الوقت ، ذلك بأن الوقت الذى كان فيه هذا الفهم صحيحا قد انقضى ، وأقبل وقت تطور فيه فهم الدين ، وانتقل من مستوى الايمان ، الى مستوى الاسلام .. الأمر فحواه كالآتى :

الاسلام فكر يرتقى السالك فيه على درجات سلم سباعى ، أولها الاسلام ، وثانيها الايمان ، وثالثها الاحسان ، ورابعها علم اليقين ، وخامسها علم عين اليقين ، وسادسها علم حق اليقين ، وسابعها الاسلام من جديد .. ولكنه فى هذه الدرجة يختلف عنه فى الدرجة الأولية ، اختلاف مقدار ، فهو فى الدرجة الأولية انقياد الظاهر فقط ، وهو فى الدرجة النهائية انقياد الظاهر والباطن معا .. وهو فى الدرجة الأولية قول باللسان ، وعمل بالجوارح ، ولكنه فى الدرجة النهائية انقياد ، واستسلام ، ورضا بالله فى السر والعلانية .. وهو فى الدرجة الأولية دون الايمان ،

ولكنه فى الدرجة النهائية أكبر من الايمان .. وهذا ما لا يقوى العلماء الذين نعرفهم على تمييزه.. ولقد لبس على علماء الدين هذا الأمر حديث جبريل المعروف، الذى رواه عمر بن الخطاب ، قال : « بينا كنا جلوسا عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يعرفه منا أحد ، ولا يرى عليه أثر السفر ، فجلس الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، واسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع يديه على فخذيه ، ثم قال : يا محمد أخبرنى عن الاسلام .. قال الاسلام ان تشهد الا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة، وأن تصوم الشهر ، وأن تحج البيت ، اذا استطعت اليه سبيلا.. قال صدقت . فعجبنا له ، يسأله ويصدقه !! ثم قال فأخبرنى عن الايمان .. قال الايمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله، والقدر ، خيره وشره ، واليوم الآخر .. قال صدقت .. ثم قال فأخبرنى عن الاحسان .. فقال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فأن لم تكن تراه فانه يراك .. قال صدقت.. ثم قال: أخبرنى متى الساعة ؟ ؟ فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل !! قال فاخبرنى عن علاماتها .. قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة ، العراة ، رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان .. قال صدقت .. ثم انصرف ، فلبثنا مليا .. ثم قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يا عمر ، أتدرى من السائل ؟ قلت الله ،

ورسوله،أعلم.. قال هذا جبريل،أتاكم يعلمكم دينكم !! » .. هذا الحديث لبس على علمـاء الدين الأمر فظنوا أن مراقى ديننا انما هـى الاسـلام ، والايمـان ،والاحسان .. ولما كان واردا فى القرآن قول الله تعالى عن الاعراب« قالت الاعراب آمنـا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : أسلمنا . ولما يدخل الايمان فى قلوبكم . » فقد أصبح واضحا أن الايمـان أعلى درجة من الاسلام .. ومـا علموا أن الأمر يحتاج الى نظر..

جلية الأمر

وجلية الأمر ان الاسلام ،كما هو وارد فى القرآن،قد جاء على مرحلتين : مرحلة العقيدة،ومرحلة الحقيقة أو سمها مرحلة العلم .. وكل مرحـلة من هاتين المرحلتين تقع على ثلاث درجات ..

فأما مرحلة العقيدة فدرجاتها الثـلاث هى : الاسـلام ، والايمان ، والاحسان .. وأمـا مرحلة العلم فدرجاتهـا الثلاث هى : علم اليقين ، وعلم عين اليقين، وعلم حق اليقين .. ثم تجىء ، بعد ذلك ، الدرجة السابعة من درجات سلم الترقى السبـاعى ، وتلك هى درجة الاسلام ، وبهـا تتم الدائرة .. وتجىء النهـاية تشبه البداية ، ولا تشبهها ..فهى فى البداية الاسلام ، وهى فى النهاية الاسلام . ولكن شتان بين الاسلام الذى هو البداية ، وبين الاسلام الذى هو النهاية .. وقد سبقت الى ذلك الاشارة ..

ومرحلة العقيدة هى مرحلة الأمة المؤمنة .. وهى أمة الرسالة الأولى ..

ومرحلة العلم هى مرحلة الأمة المسلمة .. وهى أمة الرسالة الثانية .. وهذه الامة لم تجىء بعد ، وانما جاء طلائعها ، فرادى ، على مدى تاريخ المجتمع البشرى الطويل . وأولئك هم الأنبياء ، وفى مقدمتهم سيدهم ، وخاتمهم ، النبى ، الأمى ، محمد بن عبدالله ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .. وهو قد بشر بمجىء هذه الأمة المسلمة ، كما جاء برسالتها ، مجملة فى القرآن ، مفصلة فى السنة ، وقد أسلفنا الاشارة الى معنى السنة ... وحين تجىء هذه الامة المسلمة فانها لاتبدأ الا بما بدأت به الامة المؤمنة ، وهى مرحلة العقيدة ، ولكنها لاتقف فى الدرجة الثالثة من درجات السلم التى وقف جبريل فى أسئلته عندها ، وانما تتعداها فى التطور الى ختام الدرجات ، فتكون بذلك صاحبة عقيدة ، وصاحبة علم ، فى آن معا ، فهى مؤمنة ، ومسلمة ، فى حين أن الأمة الأولى مؤمنة ، وليست مسلمة ، بهذا المعنى النهائى للاسلام ..

ويجب أن يكون واضحا فان جبريل انما وقف ، فى أسئلته ، عند نهاية درجات العقيدة لأنه انما جاء ليبين للأمة المؤمنة دينها ، ولم يجىء ليبين للأمة المسلمة ، التى لما تأت بعد ..

ان محمدا رسول الرسالة الأولى ، وهو رسول الرسالة

الثانية .. وهو قد فصل الرسالة الأولى تفصيلا ، وأجمل الرسالة الثانية أجمالا ،ولا يقتضى تفصيلها الا فهما جديدا للقـرآن ، وهو ما يقـوم عليه هذا الكتاب الذى بين يـدى القـراء ..

ان هذا الكتـاب يهـدى الطريق ، ولكنـه لا يمكن من نفسـه الا الذين يقبلون عليـه بأذهان مفتوحـة ..

عند الله نلتمس التسديد ،ونجح المراد .. انه نعم المولى..

الإهـــداء

الى الانسانية !

بشرى .. وتحية .

بشرى بان الله ادخـر لها من كمال حيـاة الفكر ، وحيـاة الشعور ، ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وتحية للرجـل وهو يمتخض ، اليوم ، فى احشائها ، وقد اشتد بها الطلق ، وتنفس صبـح الميـلاد .

بسم الله الرحمن الرحيم

« اليوم أكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتى ورضيت
لكم الاسلام دينا »

نحمدك اللهم ، ونستهديك ،
ونستعينك ، ولا نحصى ثناء عليك ، انت
كما أثنيت على نفسك :

توطئة البحث

عندما استعلن النور الالهى بمحمد الأمى من جبال مكة فى القرن السابع الميلادى ، أشرقت شمس مدنية جديدة ، بها ارتفعت القيمة البشرية الى قمة لم يسبق لها ضريب فى تاريخ البشرية .

ولقد قامت تلك المدنية الانسانية الجديدة على أنقاض المدنية المادية الرومانية فى الغرب، وعلى أنقاض المدنية المادية الفارسية فى الشرق ، ولقد بلغت هذه المدنية الانسانية الجديدة أوجها ، من الناحية النظرية على الأقل ، غداة أنزل الله تعالى

على نبيه الآية التى صدرنا بهـا هذا السفر ، وهى قوله تعـالى « اليـوم أكـملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا . » وذلك فى نهاية الثـلث الأول من القـرن السابع ، ثم ان النبى لم يلبث أن التحق بربه ، فانثلمت بذلك قمة هـرم هذه المدنيـة الانسـانية الجديدة ، ومن أبلغ ما بلغنا فى ذلك عبارة أحد الأصحاب حين قال ، « ما كدنا ننفض أيدينـا من تراب قبر رسـول الله حتى أنكرنا قلوبنا » وظهر صدق هذه العبارة عمليا فى أخريات خلافـة عثمان ، مما انتهى الى ما يعرف فى التـاريخ الاسلامى بالفتنـة الكبرى .

وهذه المدنيـة الانسانيـة الجديدة ، التى جاء بها الله على لسان محمد ، والتى عاش محمد فى أوجها ، والتى انحسرت قمة موجتها بهذه السرعة المذهلة لدى موت محمد ، كما جاء فى عبارة أحد أصحابه ، ما زالت قمتهـا تطمئن ، وقاعدتها تتسع ، حتى عادت مدنية مـادية تشبه ، من بعض الوجوه ، المدنية الرومانية والمدنية الفارسية ، اللتين أسلفنا القول بأن مدنية الاسلام قامت على أنقاضهما .

يقولون ان التاريخ يعيـد نفسه ، وهذا حق ، ولكنه ليس كل الحق ، ذلك بأن التاريخ لا يعيد نفسه بصورة واحدة ، وانما يعيدها بصورة تشبه من بعـض الوجوه ، وتختلف من بعضها ، عما كان عليه الأمر فى سـابقه ، فالمكان ليس كرويا ، ولا الزمان،

تبعـا لذلك ، بكروى ، وانمـا هما لولبيان ، يسيران من قاعدة الى قمة ، تشبه فيهما نهاية الحلقة بدايتها، ولا تشبهها •

وكما ان الزمان ، على كوكبنـا هذا ، يسير على رجلين ، من ليل ونهار ــ من ظلام ونور ــ وكما أن الانسان يمشى على رجلين من شمال ويمين ، فكذلك الحياة تتطور على رجلين من مادة وروح •• وعندما يقدم المجتمع البشرى، فى ترقيه ، رجل المادة ، ويثبتها، ويعتمد عليها ، يكون فى حـالة تهيؤ ليقدم رجل الروح ، وهو لابد مقدمها ، « كان على ربك حتما مقضيا • » ذلك بأن تقدم الحياة لا يقف اطلاقا ، ولا يتأخر، ولا يكرر نفسه ، وانما يسـير قدما فى مدارج مراقيـه ، حيث تطلب الحياة ان تكون كاملة فى الصور ، كما هى كاملة فى الجوهر • وهيهـات !!

أوقل ان سير الحياة ، فى مراقيها ، كسير الموجة ، فهى لا تنفك بين سفح وقمة ، وهى عندما تكون فى السفح انما تحتشد لتقفز الى القمـة ، وانما يمثل السفـح التقدم المادى للمجتمع البشرى ، وتمثل القمة تقدمـه الروحـى ، والذيـن لا يرون صورة سـير المجتمع مكتملة ، وانما يرونهـا بالتفاريق ، ينعون عليه تقدمـه المادى ، ولا يعتبرونه الا انحطاطا ، ويحسبـونه رجسا من عمـل الشيطـان ، والله هو المسـير الحياة اليه ، على هذين الرجلين، من المادة والروح • وفى الحـق ، انه لدى التوحيد ، انما المـادة والروح شىء واحد ، ولا يقـع بينهما اختلاف نوع ، وان وقع بينهما اختلاف المقدار •

الباب الاول

المدنيـة والحضارة

المدنيـة غير الحضـارة ، وهما لا يختلفان اختلاف نوع ، وانما يختلفان اختلاف مقدار .. فالمدنية هى قمة الهرم الاجتماعى والحضارة قاعدته .

ويمكن تعـريف المدنيـة بأنها المقدرة على التمييز بين قيم الأشياء ، والتـزام هذه القيـم فى السلوك اليومى ، فالرجـل المتمدن لا تلتبس عليه الوسائل مع الغاية ، ولا هو يضحى بالغاية فى سبيل الوسيلة . فهو ذو قيم وذو خلق . وبعبـارة موجزة ، فالرجل المتمدن هو الذى حقق حياة الفكر وحياة الشعور .

هل المدنية هى الأخلاق؟؟

هى كذلك ، من غير أدنى ريب! ! وما هى الأخلاق ؟ للأخـلاق تعاريف كثيرة ، ولكن أعلاها ، وأشملها ، وأكملها هى أن نقول أن الأخلاق هى حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة . ولقد قال المعصوم « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . » فكأنه قـال ما بعثت الا لأتمم مكارم الأخلاق ، ومن أجل ذلك قلنا أن محمدا عاش فى أوج المدنية التى جاء بها الله عن طريقه ، ووصفه تعالى فيها بقوله « وأنك لعلى خلق عظيم »

وحين سئلت عائشة عن أخلاق النبى قالت « كانت أخلاقه القرآن » ومعلوم أن القرآن أخلاق الله ، وأخلاق الله انما هى فى الاطلاق ، ومن ههنا جاء التعريف بأن الأخلاق هى حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة .

ولقد كان محمد أقدر الناس على حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة ، وذلك لشدة مراقبته لربه ، ولدقة محاسبته لنفسه ، على كل ما يأتى ، وما يدع ، فى جانب الله ، وفى جانب الناس . أليس هو القائل « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ؟ »

بل ان حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة انما هو سنة النبى ، التى طالما تحدث عنها الناس ، من غير أن يدركوا حقيقتها . وهذه السنة هى التى أشار اليها فى حديثه المشهور عن عودة الاسلام ، وذلك حيث يقول « بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء ! قالوا من الغرباء يا رسول الله ؟ قال الذين يحيون سنتى بعد اندثارها . »

فسنته هى مقدرته ، فى متقلبه ومثواه ، وفى منشطه ومكرهه ، على حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة ، وتلك هى قمة الأخلاق ، وهى أيضا قمة المدنية .

وأما الحضارة فهى ارتفاق الحى بالوسائل التى تزيد من